ذمّ النِّساء في الشعر العربي القديم "دراسة موضوعيّة"

إعداد

أسماء أحمد أحمد محمد حسين الحداد

أ.د محمد السيّد الدسوقي

أستاذ البلاغة العربيّة والنقد الأدبي كليّة الآداب _ جامعة طنطا

أ.د عهدي إبراهيم السيسي

أستاذ الأدب القديم المُساعد كليّة الآداب_ جامعة طنطا

المستخلص:

يُحاول هذا البحث الموسوم: بذَمّ النِّساء في الشِّعرالعربي القديم دراسة موضوعيّة أنْ يتناول أغلب ما جاء عن هذا الموضوع فى الفِكرالنقدى قديمًا وحديثاً، وما جاء فى الشِّعرالقديم، فمما لا شك فيه أن المرأةَ عمادُ المجتمعِ وينبوعُه؛ لِذا حثّ الإسلام على احترامها، وحِفظ كيانها، وأعزّها وأعلى منزلتها، ورفع قدرها لمكانة تليق بها، وقضية المرأة ضرورة مُلحّة، إضافة إلى كونها ضرورة إنسانيّة جوهريّة لا تهمّ النساء وحسب، بل تهمّ المجتمع البشرى بأكمله؛ نظرًا لتعالقها مع كثيرمن قضايا المجتمع: السياسيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، وعُنوانًا مُهمًّا تدور حوله أبحاث كثيرة للخروج منها من بوتقة التهميش والتحجيم التى طالما ضيّقت عليها الخِناق، وأخرجتها من إنسانيتها بوصفها كائنًا صامتًا غيرمُعبّرعن خلجات نفسه، وتُعدّ من القضايا التى فرضت ذاتها بقوة ووضوح منذ أنْ تبلورت ملامحها، وكانت للمذمّة أثرٌ كبيرٌ لقلة ترددها على الألسنة، حيث إنّ كثيرًا من الأبحاث تزخر بأشعار مدح النساء، فى حين أنّ مقابل مدح النساء قد حظى باهتمام ضئيل رغم استحقاقه لدراسة متأنيّة؛ لأنّ الذمّ ضد النساء ليس شيئًا عابرًا يتمّ التعامل معه بتبسيط مُخل، بل إنّ ذمّها هو ذمّ المجتمع ويُنذربهلاك المجتمع ذاته على المدى البعيد، ويُعد مرجعيّة لتوليد العنف بشكل عام، وتكريس هيمنة الرجل على المرأة.

واتّجه هذا البحث نحو بيان مذمّة النساء في البناء الشعري، جمالياته وموضوعاته، وقد استقصت الباحثة أغلب الصفات التي تناولها الشعراء بالذَّم؛ لتنقيح صورة المرأة في جانب من صفاتها

تناثرت بين المؤلفات، وليضيء جوانب جديدة لم تقف عليها مثيلاتها من الدراسات السابقة حَسْبَما اجتهدت الباحثة.

الكلمات الافتتاحية: ذم النساء؛ مذمة النساء؛ هجاء؛ شعر المرأة.

مُقدّمة

الحمد لله ذى المِنة والفضل، الحمد لله الذى خلق الإنسان من نفسٍ واحدة، وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالًا كثيرًا ونساءً، الحمد لله الذى كرّم المرأة بالأمومة، والعاطفة، والسّكن النفسى، وأشهد أنْ لا إله إلا الله خالق الإنسان ومُكوّنه، وجاعل الحياة قائمة على الذكروالأنثى، وأشهد أنّ مُحمدًا عبده ورسوله خُلق من المرأة، وعاش مع المرأة، وأوصى بتكريم المرأة فى آخر خطبة من حياته فصانها عن العبث، ووضعها فى مكانها الاجتماعىّ الطبيعىّ الذى يجب أنْ تحياه، فاللهم صلِ عليه وعلى آله الطيبين والأبرار، ثمّ أمّا بعد...

مِما لا شكّ فيه أنّ المرأةَ جزءٌ لا ينفصل بأيّة حال من الأحوال عن المجتمع، وكانت وما تزال لها كثير من الأدوارالبارزة التى لا تُخفى عَبْرَالعصور، وفى كلّ العصورمنهم من يُكرمها وينظرإليها بعين الحبّ والإجلال، ومنهم من ينظرإليها بنظرة التحقيروالانحطاط، فنُبذت وكُرهت ووُئدت نتيجة العقليّة المُتحجرة للرجل، فظلّ ذلك القيد حاجزًا للمرأة؛ ظنًّا منهم أنّ الأُسرالتى تعول امرأة احتماليّة وقوعها فى دائرة الفقرأعلى من احتماليّة وقوع الأُسرالتى يعولها رجل، وبذلك فنظرة الرجل للمرأة لا تتوحد مُطلقًا بل من الصعب الحكم عامة على النساء فى صورة سلبيّة فقط أوإيجابيّة فقط.

ويُعد الحديث عن النساء من أكثرالموضوعات إثارة للجدل، مِمَّا اهتمّ به الشعراء، ولفت أنظارهم، وشكّل ركنًا فى بناء كثير من القصائد، فهى نصف المجتمع، وشقيقة الرجل، وعائلة الأمة، ومُنجبة الأجيال، وهى ليست مجرد حبيبة أو معشوقة إنّما هى قضيّة اجتماعيّة بوصفها إنسانًا له أزماته ومشكلاته.

وقد تمثّلت بعض الصفات المذمومة الموسومة بها النساء كما أبان البحث فى:

الغدرفهنّ لا يعرفنّ الوفاء، والبُخل، وسرعة تقلبهنّ وعدم دوامهنّ على حال، والمكر والخِداع والمُراوغة، والرّياء، والفساد والفِسق، وإفشاء الأسراروالبوح بها، والتدخل فيما لا يُعنيهن، والشهوة والطمع فى حبّ المال والشباب، والجمود والجحود، والقسوة والشراسة والصلابة، والعُنف والعُدوانية، والعِناد والتمرد والعصيان، والكذب والنميمة، والغطرسة والكِبر، وسوء حديثهنّ وحِدة القول، وإخلاف الوعود، وذمّ هِرمهن، وذمّ الزواج من أكثر من امرأة، وذمّ المرأة المُسترجلة، وذمّ ثقلهنّ على المُجالسين؛ لثقل سوء حديثهن، وذمّ كثرة عتابهنّ ولومهنّ، وذمّ كثرة التدخل فى شئون غيرهم، وذمّ خُلقى؛ لمجونهن وسفههن، بالإضافة إلى صفات خِلقية كثيرة

وهى الغالبة كالنحافة والهِرم وسوء مظهرهنّ؛مِما حفلت به كثيرمن قصائد الشعراء فى المُختارات الشعريّة قديمًا.

المبحث الأول: المرأة فى الفِكرالنقدى قديمًا وحديثًا:

قليلة هى الكتب التى درست المذمّة دراسة موضوعيّة فى صفحات، وفصول، وأبواب مُتفرّقة، فقمت بجمع أغلبها وذِكرما شاع من مذمّتهنّ؛ للنظرفى تلك الأسباب التى دعتهم للحديث بالسلب عنها، وإبرازأغلب الصفات السيئة الشائعة.

يرى توفيق الحكيم(ت١٤٠٧هـ) "أنّ المرأة قد تفوق الشيطان فى الدّهاء والمكر، فنظر بذلك للمرأة نظرة مُستبدة مُتشددة، وقد ذكر أمّه فى كتابه سجن العمر بأنّها كانت حادة الطّباع، عصبيّة المزاج، شديدة الانفعال وسريعته، عنيدة مُصرة، كثيرة الشغب والخِصام"[١].

ومن هنا ارتاب جميع النساء واتّخذ منهنّ موقفًا مُناهضًا مُعاديًا. **وذمّ المرأة العاملة؛ اعتقادًا منه أنّ الوظيفة الطبيعيّة التى يجب أنْ تشغلها المرأة هى أنْ تعمل فى البيت بذكاء وحذق، وأنْ تؤدى واجبها؛ بِوصفها زوجة مُستقيمة، وأُمًا مُثلى، وإنسانة مُضحية بسعادتها من أجل الآخرين، وناكِرة لِذاتها فى سبيل الغيردومًا، فيرى أنّ عملها خارج البيت عائقًا لها عن تأدية واجبها النبيل، لذلك شنّ حملة شعواء على جميع النساء العاملات فى مُختلف مرافق الحياة**[٢]. فهذه رؤية أديب مُعاصر، وأرى أنّ فى هذا جلب الأُميّة للمجتمع، كما أنّ خروجها إلى العمل لن يجعلها مُعفاة من واجباتها ومسئولياتها تِجاه أسرتها، إضافة إلى أنّه لا يُمكن تصوّر مجتمع يتقدّم تاركًا وراءه نصفه فى حالة من التخلّف والازدراء؛ لِهذا يعتمد تقدّم المجتمعات على مدى تقدّم المرأة.

ولغيره من فلاسفة الغرب أمثال أرسطو(ت٣٢٢ق.م) الذى نظرإلى المرأة نظرة سلبيّة وأنّها قد جُبلت على النقائص، ولا يكتفى بذلك بل**"أضاف إلى عدم قدرتها على مُمارسة الفضائل الأخلاقيّة على نحو ما يفعل الرجل، وعدم قُدرتها على شغل أى منصب اجتماعىّ أو ثقافىّ أو حتى قيادة المنزل، إنّ مُهمتها تقتصر فقط على الإنجاب"**[٣]. وأرى أنّه لا عجب فى ذلك فهذا من طبائع النفس الإنسانيّة التى جُبلت على عدم فهم الأمور، فالإنجاب من مهام المرأة الأساسيّة وهذا

[١] المرأة في أدب توفيق الحكيم ص١٢، ١٣: الرشيد بو شعير، دمشق، دارالأهالى، ١٩٩٥م.

[٢] بتصرف المرأة في أدب توفيق الحكيم ص٤١، ٥٤.

[٣] أرسطو والمرأة ص٨ :أ.د. إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولى، سلسلة الفيلسوف والمرأة، الطبعة الأولى١٩٩٦م.

لا يعنى بحال من الأحوال اقتصارها على ذلك، ومنعها من شغل أىّ منصب والحدّ من طموحها، بل إنّ ذلك يدل على قُدرتها الفائقة والفعّالة، فمع كلّ ذلك تقوم بأعباء عظيمة، فرسالة المرأة أسمى ما فى الوجود، فهى الأم، والزوج، وملكة البيت، راعية أمره ومُدبّرة شئونه، فهى قائدة فى عملها وبيتها؛ وبذلك فهى مفطورة على أداء رسالتها على أتمّ وجه. وقيل فى ذلك"كما أنّ وظيفة الأمومة ليست وظيفة هامشيّة، بل هى حاجة ثقافيّة واقتصاديّة لا تُنافسها فى قيمتها مُهمة أخرى فى المجتمع"[١].

وقال محمد بن عبد السلام الخشنى:"إيّاك وكلّ امرأة مُذكّرة مُنكّرة، حديدة العرقوب، بادية الظنبوب، مُنتفخة الوريد، كلامها وعيد، وصوتها شديد، تدفن الحسنات، وتفشى السيئات، تُعين الزمن على بعلها، ولاتُعين بعلها على الزمن، ليس فى قلبها له رأفة، ولا عليها منه مخافة، إن دخل خرجت، وإن خرج دخلت، وإن ضحك بكت، وإن بكى ضحكت؛ وإنْ طلّقها كانت حرفتَه، وإن أمسكها كانت مصيبته، سفعاء ورهاء، كثيرة الدعاء قليلة الإرعاء، تأكل لمّا، وتوسع ذمّا، صخوب غضوب، بذيّة دنيّة"[٢].

---

[١] المرأة بين القرآن وواقع المسلمين ص٧٢، ٧٣: راشد الغنّوشى،دارالشروق،٢٠١٢م.

[٢] العِقد الفريدج٧ ص١٢١: ابن عبد ربه الأندلسى(٣٢٨هـ)، تحقيق:عبد المجيد الترحينى، بيروت، دارالكتب العلميّة،الطبعة الأولى١٩٨٣م. وجاء فى العين ج٨ص١٦٥ باب الظاء والنون والميم معهما ن ظ م، والظنبوب: مسمار يكون فى حبة السِّنان حيث يُرَكَّب فى عالية الرُّمْح، والجمع الظَّنابيب: أبوعبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدى البصرى(ت١٧٠هـ)، تحقيق: دكتورمهدى المخزومى، ودكتور إبراهيم السامرائى، دار ومكتبة الهلال. وجاء فى إيضاح شواهد الإيضاح باب اللغة ج٢ص٦٢١: السّفع والسّفعة: السواد والشحوب، والذكرأسفع والمرأة سفعاء: أبو على الحسن بن عبدالله القيسى، تحقيق: محمد بن محمود الدعجانى، دارالغرب الإسلامى، بيروت، الطبعة الأولى١٩٨٧م. وفى مُجمل اللغة ج١ص٤٦٥ السفعاءُ: المرأة الشاحبة، وكل صقرأسفع، وسفعاء: الحمامة، وسُفْعَتُها فى عُنُقها دوين الرأس وفُوَيْق الطوق. وجاء فى العين باب الرباعى من العين ج٢ ص٣٣١: السَّلفَعُ: الشجاع الجسور، وامرأة سَلْفَع أى سليطة، الرجل والمرأة فيه سواء. وجاء فى تهذيب اللغة باب القاف والباء ج٩ص٢٦٠: الرُّعْيا من الإرعاء على الشىء وهو الإبقاء عليه: أبومنصور،محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروى (٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض، دارإحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الأولى٢٠٠١م.

وهنا يذمّون المرأة الشبيهة بالرجل، كما ذمّوا صوتها المُرتفع، وثقلهاعليهم، ووسموها بالجمود والجحود، وأنها نَهِمة أكولة إضافة إلى عدد من الصفات السيئة الأخرى.

وكان العرب فى الجاهلية يتشاءمون بميلاد البنت، ويضيقون به، ويروا أنّ من مظاهرالسرورلديهم موت البنات، وقد قال أحد الآباء -وقد بُشّر بأنّ زوجه ولدت أنثى- **"والله ما هى بِنِعْم الولد، نَصْرها بكاء، وبرها سرقة... يريد أنّها لا تستطيع أن تنصرأباها وأهلها إلا بالصراخ والبكاء لا بالقتال والسلاح، ولا أنْ تبرهم إلا بأنْ تأخذ من مال زوجهالأهلها"**[١].

وعلى هذا النهج جاءت أمثال كثيرة لا تُرحّب بوجود البنت؛ لكونها مصدرًا من مصادر القلق والهمّ الذى يعترى كلّ من يُبتلى بها كقولهم:**"صوت حيّة ولا صوت بنيّة"**[٢]. فكانوا يُفضّلون سماع فحيح الأفاعى، وينفرون من سماع صوت الأنثى، وكأنّها أشد إيلامًا لهم من الحيّة، وهذا لا يُعقل لمُستمعٍ... فما ذنب امرأة وُلدت فى مجتمع يُقدّس الذكر حتى وإنْ كان عائقًاعاقًا لكنّ الأنثى تُرفض من أول وهلة؛ لكونها نذيرشؤم، وكأنّ الجنّة فى قدوم الذكر، والنارفى قدوم الأنثى! وأرى أنّ المرأة نِصف المجتمع، وقد خُلقت حواء؛ لتُشارك آدم حياته على هذه الأرض، ولولا أهميتها لِما خلقها الله بعد آدم، واستكفى بوجود الرجال لكنّ هذا لم يحدث، كما أنّ المرأة إذا خُلقت من ضلع آدم فباقى البشريّة خُلقت من رَحِمِها فكيف لنا العيش دونها، والله –تعالى- خلق من المرأة ولدًا من غير ذكر، ولم يخلق من الرجل ولدًا من غيرأنثى كما خلق المسيح فى بطن مريم من غير ذكر، فكلّ هذا يدلّ على أهمية حياة البنت التى ستُصبح أمًا ومن ثَمَّ السبب الرئيس فى بقاء البشريّة.

وقد شاعت مسألة انحيازاللغة وتفضيلها للذكرعلى حساب الأنثى"إنّ الذى حدث هو غياب الأنوثة التام عن التاريخ؛ لأنّها غابت عن اللغة وعن كتابة الثقافة، وتفرّدت الفحولة باللغة، فجاء الزمن مكتوبًا ومُسجّلًا بالقلم المُذكر واللفظ الفحل"[٣]. "وفى ذلك قد دحض الدكتور محمد عبد المُطلب حول مقولة ذكوريّة اللغة وانحيازها للذكرعلى حساب الأنثى... وقد انعكس شىء من هذه القداسة فى الوعى اللُغوى، فالعربيّة عندما تقصد تعظيم شىء، فإنّها تميل إلى

---

[١] مركزالمرأة في الحياة الإسلاميّة ص٤٦:يوسف القرضاوى، عمان، دارالفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى١٩٩٦م.

[٢] المرأة فى الأمثال الشعبيّة المصريّة: دراسة ثقافيّة ص٢١،بحث نُشرفى صحيفة الألسن ٢٨يناير٢٠٢٢، من ص٩: ٣٢.

[٣] المرأة واللغة ص١١: عبدالله الغذامى، المركزالثقافى العربى، الدارالبيضاء، الطبعة الأولى١٩٩٦م.

تأنيثه، فالفاتحة(أمّ الكتاب) ومكة(أمّ القرى)، و(أمّ الطريق) معظّمة، و(أمّ النجوم): المجرّة، و(أمّ الدماغ):الرأس، وصارت الأرض هى (الأم) مطلقًا، وعندما تهدف اللغة إلى المُبالغة، تعتمد التأنيث، فتقول(رواية) لكثير الرواية،ومثلها(نسّابة)و(فهّامة)و(علامة)و(رحّالة)..."[١].

وعدّها بعض الدارسين مخلوقًا ناقص الأهليّة "وهى عند الرجل أَمَة أو كالأمَة، يتزوجها لمُتعة إن شاء، ويمتلك بضعها بِما يدفع من مال، ويُطلقها متى أراد، دون أن تملك له دفعا، ولا تستحق عن ذلك متاعًا ولا تعويضًا حتى عبّربعضهم عن بعض بأنّها كالنّعل، يلبسها متى أراد، ويخلعها متى أراد"[٢]. وأرى أنّ تشبيهها بهذا الأمرعائد لنقص، وعدم التأنّى فى الاختيار المرضى له.

وكانت بعض الديانات والمذاهب"تُعد المرأة رِجسًا من عمل الشيطان، ويجب الفِرار منها، واللجوء إلى حياة التّبتل والرهبنة، وبعضها الآخر كان يُعد الزوجة مجرد آلة متاع للرجل، أوطاه لطعامه، أو خادم لمنزله، فجاء الإسلام يحثُّ على الزواج ويُعد الزوجيّة آية من آيات الله فى الكون"[٣]...فى الوقت الذى نجد فيه أنّ الله -سبحانه وتعالى- جعل فى سورة النساء أحكامًا كثيرة لهنّ، وقد بُنيت على أنّ الزواج شِركة تعاوُنيّة أساسها المودة، والرحمة، والوفاء، والأُلفة.

ويُقال عن المرأة فى رأى بعض الباحثين:"أنّها تطيق التمريض؛ لأنّها بليدة الحس، كليلة الخيال، لا تُثير فيها رؤية الألم، وعلى النقيض من ذلك فقد قيل: إنّ صبرها على رؤية ذلك العذاب قد يُفسّر بالاستغراق فى عاطفة الرحمة، وهذا الاستغراق يُعين فى حد ذاته على الاحتمال ويُملى المرأة فى مُجاراة الآلام، فهى كُتلة من المشاعرالمُخبّأة؛ لِما فى طبيعتهِنّ من صبروأُناة"[٤]. وأرى أنّه لم يُوفّق الرجال إلى مُنافستهنّ فى هذا الشأن؛ لوضوح تلك الصفات فى النساء وحدهنّ، فقد رُزقْن قِسطًا عظيمًا من العاطفة عن غيرهم، وهذا يدل على خصوبة إحساسهنّ؛ لرقتهن بالقياس إلى خشونة غيرهم.

---

[١] بلاغة السرد النسوىّ ص٢١: محمد عبد المطلب، الهيئة العامة لقصورالثقافة، مصر، سلسلة كتابات نقديّة، العدد١٦٦، الطبعة الأولى٢٠٠٧م.

[٢] تحريرالمرأة في عصرالرسالة ج١ص٩: عبد الحليم أبو شُقّة، الطبعة الخامسة ١٩٩٩م.

[٣] مركزالمرأة في الحياة الإسلاميّة ص٥٦.

[٤] كتاب هذه الشجرة ص٣٤، ٣٥: عباس محمود العقاد، القاهرة، دار نهضة مصر، الطبعة الثانيّة٢٠٠٦م.

وعن أوفى بن دَلْهَم أنّه كان يقول:"النساء أربع، فمنهن سمعمع لها شينُها أجمع، ومنهن تبع تضر ولا تنفع، ومنهن صدع تُفرَّق ولا تجمع، ومنهن غيث هَمِع إذا وقع ببلد أمْرَع"[١]. فوصفهنَّ بتلك الصفات يُعبّرمن وِجهة نظرهم عن انحطاطهنّ وتخليهنّ عن إنسانيتهنّ، وأرى أنهنّ نظائرهم وأمثالهم فى الخَلق والخُلق والطِّباع، فإذا وصفوهم بشىء عادت عليهم تلك الصفة ولِمَ لا وهنّ نظائرالرجال، وشقائقهم فى العبادات،والمُعتقدات،والمُعاملات.

أخبرنا بعض أشياخ البصرة"أنّ رجلًا وامرأته اختصما إلى أمير من أمراء العراق، وكانت المرأة حسنة المُنْتَقَب، قبيحة المَسْفِر، وكان لها لسان، فكان العامل مال معها، فقال: يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يُسىء إليها؟ فأهوى الزوج فألقى النقاب عن وجهها، فقال العامل: عليك اللعنة، كلام مظلوم ووجه ظالم"[٢]. فهنا ذمّ سوء خِلْقتها حين رؤيته لها، وأنّها قبيحة الوجه حين كشف وجهها، وحسنة حين ستره... فى حين أنّ النبى ﷺ قرن النساء بالطيب، لقوله**"حُبب إلىّ الطيب والنساء، وجعلت قرة عينى فى الصلاة"**[٣]. فنجد أنّ النبى ﷺ جمع النساء مع الطيب والعِطر فما أجمل أنْ يجمع المرأة بالعطر، ويردف ذلك بذكرالصلاة وهى عماد الدين، وهذا الجمع والإرداف يضع المرأة فى مكانة سامية ويُدحض كلّ ما جاء عنها من مذمّة.

وفى كتاب مُلح النوادر:"أنّ ذئبًا كان بثنيّات بعض القرى يتعبّث فيها، فترصده أهلُه حتى صادوه وتشاوروا فى تعذيبه وقتلِه، فقال بعضهم تُقطّع يداه ورجْلاه، وتُدق أسنانه ويُخلع لسانه، وقال آخر: لا، بل يُصلب ويُرشق بالنيال. وقال آخر: لا، بل تُوقد نارٌعظيمةٌ ويُلقى فيها. وقال بعض المُمتحَنين بنسائهم: لا، بل يُزَوّج وكفى بالتزويج تعذيبًا"[٤].

---

[١] عيون الأخبار"كتاب النساء فى أخلاقهن وخَلْقِهن وما يُختارمنهن وما يُكره"ج١ص١٩٣:ابن قتيبة(٢٧٦هـ)، تحقيق: منذرمحمد سعيد أبو شَعِر، بيروت، المكتبة الإسلاميّة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م. السمعمع: الكالحة فى وجهك إذا دخلت، كأنّها الغول،غيث همع: ماطركثيرالسيل،أمرع:أخصب بكثرة الخيروالكلأ، القرثع: السمجة.

[٢] المرجع السابق"باب القبح والدّمامة"ص٢٢٢.

[٣] أخرجه النسائى في سُننه، كتاب(عشرة النساء)، باب (حبّ النساء)، رقم(٣٩٤٠)، ٦١/٧، وعبد الرازق في مصنفه، كتاب(الصيام)، باب(المرأة تصلى و...)، رقم٧٩٣٩، ٣٢١/٤.

[٤] الظرائف واللطائف واليواقيت"باب ذمّ التزوج" ص٢٤٤: أبومنصورالثعالبى(٣٥٠-٤٢٩هـ)، جمعها الإمام أبونصرالمقدسى، تحقيق: ناصرمحمدى محمد جاد، مراجعة وتقديم الدكتور:حسين نصار، مطبعة دارالكتب والوثائق القوميّة بالقاهرة،٢٠٠٩م.

ففى الوقت الذى نجدهم يَرَون أنّ الزواج تعذيبٌ، نجد أنّ الله سبحانه وتعالى يحثُّ على حُسن المُعاشرة بالمعروف، ويحثُّهم على المودة والرحمة، لقوله سبحانه وتعالى:﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ﴾[١]، وكذلك قول سيّد المرسلين**"ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا من زوجة صالحة، إنْ أمرها أطاعته، وإنْ نظرإليها سرّته، وإنْ أقسم عليها أبرّته"**[٢].

وقيل لأعرابى:"ما ولدُك ؟ قال: قليلٌ خبيثٌ. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا عدد أقل من الواحد، ولا أخبث من بنتٍ"[٣].

وهنا يصفون مجئ البنت بمجئ شىء خبيث حلّ عليهم، فكان الذكر يُمثّل مصدرالسيادة والقوة، بينما تُمثّل الأنثى الضعف والهزل فعانت من ثقافة التمييز، وكيف ذلك فلأهمية المرأة بنتًا كانت أو أمًا خصّص الله -تعالى- لهنّ سورة سُميت سورة النساء ولم نجد سورة الرجال!

وكان يُقال:"من الفواقر امرأة إنْ حضرتَها سبَّتْك وإنْ غِبت عنها لم تأمنها"[٤].

يصف امرأة ما بالغدر سواء أكان ذلك فى حضوره أم فى غيابه، وعلى النقيض أرى أنّ المرأة عُرفت بالوفاء، والولاء، والإحسان، وصفاء القلب؛ ومع ذلك فهذه الأقوال المُنحازة ضد المرأة لم تُضعفها بل دفعت النساء للدفاع عن حقوقهنّ ووجودهنّ؛ لِذا قامت الحركة النُّسويّة لدحض هذه الآراء التى لا تستند إلى دليل.

المبحث الثانى: موضوعات ذمَّ النساء فى الشِّعرالقديم:

سجّلت المرأة حضورًا كبيرًا فى المُدونة الشِّعريّة الذكوريّة فأخذت حيّزًا لافتًا من مساحة عطائهم الشعرىّ، فكانت وما زالت مُلهمة الشعراء فى إبداع الصورالبليغة المؤثّرة، وهذا يعنى أنّ الحضورالأُنثوى سيطرعلى فِكرالشعراء، كما أنّها تُعد نقلة مِحوريّة لهم، لكنّها عاشت كثيرًا تحت وطأة الاستلاب؛ فتعرّضت كثيرًا للتهميش فأظهروها بصورة سلبيّة؛ لكونها مثالًا يُحتذى به فى الحياة اليوميّة، وجاءوا بها فى أشعارهم مدحًا كان أو ذمًّا؛ طلبًا للرفعة، والشّموخ، وعُلو المنزلة.

---

[١] سورة النساء آية١٩.

[٢] أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب(النكاح)، باب (أفضل النساء)، رقم(١٨٥٧)، ١/ ٥٩٦. والطبرانى، في المعجم الكبير، رقم(٧٨٨١)، ٢٢٢/٨.

[٣] الظرائف واللطائف واليواقيت، باب ذمّ البنات ص٢٦٠.

[٤] الظرائف واللطائف واليواقيت ص٢٤١.

وقد أردْتُ الوقوف على صفات النساء فوجدت بعض النماذج التى تؤكد كثيرًا الصفات الإيجابيّة للنساء، والقليل منها أعطى انطباعًا سلبيًّا لدى الشعراء، وذكروا من أوصاف النساء ضروبًا لا تكاد تُحصى فذكروا المرأة القصيرة، ومن أوصافهن السِّعلاة إذ تزوجها بعضهم، والمرأة الشرسة، والزوجة المُغاضبة، والصارمة القويّة. وقد حاولت إلقاء الضوء على النِّتاج الإبداعى لعدد من الشعراء الذين خصّصوا شِعرهم عن مذمّة النساء، فقد أمعن الشعراء فى رسم صورة المرأة، ورصدوا دورها فى الحياة اليوميّة، فاتّخذوا منها مادة للفخرأوالمدح أوالهِجاء؛ بوصفها مِعيارًا لشجاعة الرجال، ومصدروحيِهم الشعرىّ وإلهامهم، لكن كيف قام الشعراء بانتزاع الجوانب المُميزة المُتعددة لجمال المرأة حتى تكون مُوحية بالمنع، والصدد، والحِرمان، وغير ذلك من الصفات؟

وكان للشعراء بعض المواقف التى دفعتهم للحديث عن الوجه السلبى للمرأة فى شِعرهم، وهو حديث قليل من حيث الكم إذا ما قورن بحديثهم عن صورة المرأة المِثال وإلحاحهم عليها فكرروها كثيرًا فى أشعارهم، فكما بالغوا فى تصويرالجانب الإيجابىّ فى صورة المرأة المثال، فقد بالغوا فى تصويرالجانب السلبى لها، فتناولوها بشىء من الهِجاء المُقذّع.

وقد نوّع الشعراء فى بيان أسباب ذمّهم للنساء، فتمثّلت موضوعات ذمّ النساء فى الصورالآتية:

١) <u>المكروالخُبث:</u>

يُعد المكروالخُبث من صورالذمّ التى تنبّه إليها كثيرمن الشعراء،"فالمَكْرُ: ما يقصد فاعله فى باطنِه خلاف ما يقتضيهِ ظاهره"[١]."والخُبْث بسكون الباء:هو خلاف طيِّب الفعل، والخبائث يُريد بها الأفعال المذمومة، والخِصال الرديئة"[٢]، وقد عبّرشعراؤنا القدامى عن هذه الصفة المذمومة فى إبداعهم، فاتّجهوا يُصورون هذه الصفة عَبْرشِعرهم وصورهم الأدبيّة. ومن ذلك قول الشاعر:(من الطويل)

[١] معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ج١ص٢٠٧: جلال الدين السيوطى، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى٢٠٠٤م، وجاءت في تاج العروس ج١٤ص١٤٧ المكر: الخديعة والاحتيال.

[٢] تاج العروس من جواهرالقاموس ج٥ص٢٣٥:محمد بن محمد عبدالرازق الحسينى، المُلقب بمرتضى الزّبيدى، تحقيق: مجموعة من المُحققين، دارالهداية.

أَلَامُ عَـلَى بُـغْضِـى لِمَـا بَيْـنَ حَيَّـةٍ وَضَبْـعٍ وَتِـمْسـاحٍ تَغَشّـاكَ مِـنْ بَحْـرِ[١]

يتعجّب الشاعر فى هذا البيت من لومه على بُغضه لزوجه أو صديقته، فقرن صفاتها بصفات الحيّة، والضبع، والتّمساح؛ لِما بِهما من خُبث وخِداع وخديعة، حتى وإنْ لم يُصرح بتلك الصفات جهارة، كما توجد صفة مُشتركة أخرى بين المرأة والحيّة وهى الابتلاع والاقتلاع لِكلّ من يلقاها، فهى تُمثل المرأة الحاقدة، والشيطانة التى تسعى إلى تحطيم غيرها، وإلى بثّ الشرور والضِراربين الناس، وإزالة كلّ الخيرات. وأرى أنّ مُحاولة إلقاء الشعراء هذه الصفة على النساء تحامل عليهنّ، كما أنّه يحلو لبعض الرجال اعتبار ذكاء المرأة وفِطنتها مكرًا محاولين بذلك التقليل من قُدراتها على إثبات ذاتها وإعمال فِكرها، ويُصبح عدم اعترافه بذكائها نزوعًا منه نحوإقصائها وتهميشها، أوقد تكون منشأ تلك الصورالسلبيّة ناجمًا عن حُكم بشرىٍّ جاء عن رجل مأزوم مع ظرفه النفسى الخاص.

٢) <u>الغدر</u>:

من الصفات التى تُطالعنا فى كتب المختارات صفة الغدر،"فالغدر:نقض العهد وتركُ الوفاءِ به، يُقال غَدَرَغَدْرًا، ويقولون فى الذم يا غُدَرُ"[٢].وتُعد من صورالذمّ التى تنبّه إليها كثيرمن الشعراء، وقد عبّرشعراؤنا القدامى عن هذه الصفة المذمومة فى إبداعهم، فاتّجهوا يُصورون هذه الصفة عَبْرَ شِعرهم وصورهم الأدبيّة، وهناك قصص لعدم وفاء المرأة مثل قصة صخر بن الشريد مع ابنة عمه سلمى، فقد قاتل فى سبيلها وأنقذها من الأسر، وأُصيب فى قِتاله بطعنة فتزوجها، وكان يحبها ويُكرمها ويُفضّلها على أهله، ثمّ بعد ذلك انتفض جرحه فمرض حولًا، وكان نساء الحى يدخلن إلى سلمى عوائد فيقلن كيف أصبح صخر؟ فتقول: لا حى فيرجى، ولا ميّت فيُنسى فسمعها صخر. فقال: (من الطويل)

أرَى أمَّ صَخْـرٍ مـا تَمَـلُّ عِيـادَتى ومَـلّتْ سُلَيْـمى مَضْجَعـى ومَكـانى[٣]

ومـا كنـتُ أخْشَـى أنْ أكـونَ جِـنازةً عَـلَيْـهـا ومَـنْ يَـغْتَـرُّ بـالحَـدَثانِ

[١] شرح ديوان حماسة أبى تمام ص١٢٤٢: أبو العلاء المعرى، دراسة وتحقيق: الدكتور حُسَين محمد نقشَة، المجلد الأول، دارالغرب الإسلامى١٩٩١م.

[٢] مُعجم مقاييس اللغة ج٤ص٤١٣: أحمد بن فارس القزوينى، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دارالفِكر،١٩٧٩م.

[٣] الحماسة البصريّة ص١٤٥٤.

فهى بذلك مطبوعة على القسوة، وتُصبح أكثر قسوة على زوجها، وأقلّ وفاءً له إنْ ألمّ به طارئ أو أقعده مرض، وأصبح بحاجة إلى عطف زوجه ومُواساتها له، وأرى أنّ المرأة تتحمّل مع الرجل أعباء الحياة راضية صابرة، وتُساعده فى إعادة بناء المنزل بعد تهدّمه، وحين إعمال العقل فلا يُعقل اتّصافها بالغدر؛ لكونها وفيّة صادقة، وفيّة للحياة لا للرجل وصادقة فى الحبّ لا فى إرضاء من تُحب، كما أنّ وفاء الزوجة لزوجها فى حياته أو بعد موته ليس أمرًا عجيبًا بل أمرًا طبيعيًّا تتفاوت فيه النساء بحسب التربية والنشأة والأخلاق، فالإنسان ليس على وتيرة واحدة فلا يتقيّد بأمرمعيّن وكذلك حال النساء.

٣) <u>حبِّ الشَّباب والمال:</u>

يُعد حبّ الشباب والمال من صورالذمّ التى تنبّه إليها كثير من الشعراء فى كتب المختارات، وقد عبّر شعراؤنا القدامى عن هذه الصفة المذمومة فى إبداعهم، وفى حكم عام على النساء جمع الشاعرعلقمة الفحل بين الشيب وقِلة المال فى علاقة المرأة بالرجل، فالذى يحكمها فى علاقتها به شبابه وكثرة ماله، وإذا فقد الرجل أحدهما ابتعدت عنه وكرهت وصاله، لقوله: (من الطويل)

فَإِنْ تَسْألونى بِالنِّساءِ فَإِنَّنى ... بَصيرٌ بِأَدْواءِ النِّساءِ طبيبُ[١]

إذا شابَ رَأسُ المَرْءِ أو قَلَّ مَالُهُ ... فَلَيْسَ لَهُ مِن وُدِّهِنَّ نَصيبُ

يُرِدْنَ ثَراءَ المالِ حيثُ عَلِمْنَهُ ... وَشَرْخُ الشَّبابِ عندَهُنَّ عَجيبُ

فهو يرى أنّ الذى يستهوى النساء إنْ هو إلا الشباب والقوة أولًا ثم المال والثروة بعد، فإنْ لم يتوفر فيه ذلك فسوف تتحول عنه محبوبته وتستبدل بحبه حبًّا آخر. وقيل فى ذلك: "فالمرأة تعشق الفتوة والقوة؛ لأنّها بطبيعتها ضعيفة تجنح لمن يحميها، ويُدافع عنها لا لمن لا يستطيع أنْ يُدافع عن نفسه، ولا توجد القوة إلا فى الشباب الذى يمتلىء بالحيويّة؛ لذلك فقد عشقته"[٢]... لِذا ظل الشيب نذيرشؤم عليهم، حيث إنّه إيذان بنهاية مرحلة اللهووالتَّصابى والشباب وبداية عهد جديد.

<u>أما عن حب المال:</u>

---

[١] الحماسة للبحترى ص٣٦٨، ٣٦٩.

[٢] صورة المرأة في الشِّعرالجاهلى ص١١٠: غادة يوسف عجيب، رسالة ماجستيرنُشرت بجامعة أمّ درمان الإسلاميّة، كليّة اللغة العربيّة، ١٩٩٨م، من ص١: ١٧٤.

فى الأبيات السابقة تأكيد على حبهنّ للمال، وإذا قلّ المال فلم يعد لديهن ود، وكأن ودادهنّ من وِجهة نظرالشاعر مُقسّم لمن يملك المال والشباب وغيرذلك فمُنعدم. وقد قيل:"إن جميع النساء فى كلّ عصروفى كلّ أمّة تُحب المال؛ لأنّ المال يُوفّر لها الترف والنعيم، ذلك الترف الذى يُزيد جمالها جمالًا... فالمرأة بطبيعتها تسعى إلى فتنة الرجل، والرجل يفتنه الجمال، وأينما وُجد النعيم والترف يجلى جمالهن"[١].

وكان من مظاهر هجاء المرأة تبدُّل أحوالها مع زوجها؛ لفقره ورحيلها عنه بعد رحيل شبابه، وقلة ماله فتضج من ذلك، كما حدث بين علباء بن أرقم وزوجه التى تُخاصمه من أجل المال. كقوله:(من الطويل)

ويومًا تُريدُ مالَنَا مَعَ مَالِها فإن لم نُنِلْها لم تُنِمنَا ولم تَنَمْ[٢]

يُبيّن الشاعر سوء معاملة زوجه وتبدّلها معه إذا قلّ ماله، فتُظهر له البؤس والشقاء فى الحياة، لكننى أرى أنّ الفقروالغنى ليسا المقياس الأول لحبّ النساء للرجال، بل مُعاملتهنّ الحسنة هى الوسيلة الفعالة فى كسب قلوبهنّ، وأرى أنّها تُفضّل الفقيرعلى الغني إذا شعرت بمروءته حقًا. ومن جانب آخرعند بعضهنّ أنّ المال من الأمورالمُسلّم بها؛ فهو وسيلة لاختيار قوة الرجل ومقدرته على تحمُّل أعباء الحياة، وعُنوان شمائل الرجولة المُحببة إلى النساء؛ ليُصبح الزوج كالأميرالراعى،والزوجة كالمأمور والرعيّة، فيجب عليه لكونه راعيًا إظهارالإنقياد والإنفاق.

٤) <u>التشبّه بالرجال:</u>

من صورالذمّ التى تنبّه إليها كثير من الشعراء، وقد عبّر شعراؤنا القدامى عن هذه الصفة المذمومة فى إبداعهم، فاتّجهوا يُصورون هذه الصفة عبر شِعرهم وصورهم الأدبيّة وقيل:"فالمرأة المُسترجلة: هى التى تحمل صفات من صفات الرجال، تجعل بعض الرجال لا يأتلف معها، وقد تغلبهم على سِمات طبعها، وكثيرا ما تكون تسلطيّة، فيشعرالرجل بنقص فيما يطلبه من أنوثة، ويعجزعن إبداء رجولته"[٣]. ومن ذلك قول الشاعر: (من المتقارب)

---

[١] صورة المرأة في الشِّعرالجاهلى ص١١١.

[٢] الأصمعيات ص١٥٧: أبو سعيد، عبد الملك بن قريب الأصمعى (٢١٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، بيروت، الطبعة الخامسة.

[٣] معجم مصطلحات التحليل النفسى ص٦٦٦: ترجمة مصطفى حجازى، بيروت، المنظّمة العربيّة للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربيّة٢٠١١م.

مُنيـــــتُ بزَنْمَـــــرْدَةٍ كالعَصـــــا ألَـــــصَّ وَأخْـبَـــــثَ مِـــــن كُـنْـــــدُشِ[١]

تُـــحِبُّ النِّســـــاءَ وتَـــأبى الرِّجـــالَ وَتَـمْـــشى مـــع الأخْـــبَثِ الأطْـــيَشِ

شبّه الشاعر خلق النساء وخُلقهنّ بالرجال؛ لِذا كان السبب فى مذمّتهنّ، وقيل فى ذلك: "إنّ عوامل الطبيعة - مهما صغرت- تخدش جمالها، وتنال منه، والشاعر يُريدها أنْ تظل بعيدة عن هذه المؤثّرات السلبيّة فى الواقع المُعاش، لتبقى كما هى فى عالمه المُتخيّل صورة مثاليّة لجمال مثالى"[٢]. فى الوقت الذى قال فيه نزار قبّانى"وإيّاك أن تصدِّق أنّ امرأةً ما تُفكر جديًّا فى مُخالفة قوانين الأنوثة السرمديّة؛ لأنها تكون فى مِثل هذه الحالة مُتآمرة على جِنسِها..."[٣]. وأرى أنّ المرأة إذا وجدت فى الرجل القوة والأمان ستستسلم وتستكين لِما يريده؛ لثقتها به وتأييدها لقراراته الصائبة، وإذا وجدت عكس ذلك جعلت القيادة لها وتخلّت عن أنوثتها لتواجه المجتمع، لكنّ المجتمع جعل المرأة تؤمن بدونيّتها وتفوّق الرجل عليها، ويجعلها بذلك مُنتزعة الإرادة والهويّة، وهذا لا ينفى أصل القوامة فى إثبات الذات وتعميمها فما دامت المرأة قادرة على مُمارسة السلوكيّات، والتّحلى بالصفات التى يعدها المجتمع ذكوريّة فهذا يعنى أنّ المجتمع قد أخطأ فى تصنيفها باعتبارها خاصة بالذكوردون غيرهم.

٥) <u>ثقلها وكثرة حملها:</u>

من الصفات التى تُطالعنا فى كتب المُختارات ثِقل النساء على الرجال، فتُعد من صور الذمّ التى تنبّه إليها كثيرمن الشعراء، وقد عبّر شعراؤنا القدامى عن هذه الصفة المذمومة فى

---

[١] الحماسة البصريّة ص١٤٥٨، وجاء فى لسان العرب فصل الكاف ج٦ص٣٤٣: الكُنْدُشُ: العَقْعَقُ. قال ابن الأعرابى: أخبرنى المُفضّل يُقال هو أخبث من كُنْدُش، وهو العَقْعَق؛ وأنشد لأبى الغطمّس يَصِف امرأة **مُنيتُ بزَنْمَرْدَةٍ كالعَصا ألَصَّ وَأخْبَثَ مِن كُنْدُشِ**، ومعنى مُنيتُ: بُليتُ. وزَنْمَرْدةٌ: امرأة يُشبهُ خلْقها خلق الرجل، لفظ فارسى مُعرّب، ويروى: بِزِنْمِرْدة، بكسرالزاى مع الميم، ويروى بزمَّرْدة، بحذف النون، وقوله ألص وأخبث من كُندش، قال ابن خالَوَيْه: الكُندُشُ لِص الطير، وهوالعَقعَق: أبوالفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدين بن منظورالأنصارى الرويفعى(ت٧١١هـ)، دارصادر، بيروت، الطبعة الثالثة١٤١٤هـ.

[٢] هجاء المرأة فى الشِّعرالعربى حتى نهاية العصرالأموى ص٨٧٣: خليل محمد عودة ، بحث نُشربالجامعة الإسلاميّة بغزة٢٠٠٠م، من ص٨٦٩: ٨٩١.

[٣] الأعمال النثريّة الكاملةج٧ ص٥٣٨.

إبداعهم، فاتّجهوا يُصورون هذه الصفة عَبْر شِعرهم وصورهم الأدبيّة، ومن ذلك قول الشاعر:(من الوافر)

تُعينُ علىَّ دهْرِىَ ما اسْتَطاعَتْ ولَيْسَتْ لِى على الدَّهْرِ بِعَوْنِ[١]

ذمّ الشاعر ثِقلها وأنّها تُساعد الدهرعليه، وليست بجواره تُساعده على ما أثقل كاهله، وحين الحديث عن النساء مُمتزجًا بثقلهم على الرجال لابد أن نعود بذاكرتنا إلى المرأة الأولى فى حياة الخلائق وهى حواء، فهى أوّل امرأة فى الوجود، وهى النفس التى جعلها الله مع آدم وجعل فيها البشرأجمعين، وهكذا عاشت المرأة بجانب الرجل منذ عهد الإنسانيّة الأولى وشاركته فى ميادين الحياة.

٦) <u>كثرة اللوم والعِتاب:</u>

من الصفات التى تُطالعنا فى كتب المختارات كثرة اللوم والعتاب،"فاللوم:العَذْلُ. تقول لامه على كذا لَوْمًا ولَوْمةً، فهو ملوم،ولَوَّمَهُ للمبالغة"[٢]،"والعِتاب:(المُعاتبة): التأديب والترويض"[٣] فهى من صور الذمّ التى تنبّه إليها كثيرمن الشعراء، وقد عبّربعض الشعراء القُدامى عن هذه الصفة المذمومة فى إبداعهم، وهى صفة ينفرمنها الشعراء من نسائهم. ومن ذلك قول عُروة بن الورد: (من الطويل)

أقِلِّى عَلىَّ اللَّوْمَ يا ابْنَةَ مُنْذِرٍ ونامى، فإن لم تَشتَهى النَّومَ فاسْهَرى[٤]

ذمّ الشاعرعُرْوَة بن الورد زوجه التى كانت تلومه على الخِطار بنفسه، وإدمانه الغزوات، ويأمرها بكفّه عن ذلك الأمر، وأرى أنّ العِتاب واللوم بين الطرفين دليل على المحبّة، وبانعدامه تنعدم المحبة. وقد حمده قوم فقالوا:"العِتاب حدائق المُتحابّين وثِمارالأودّاء، ودليل على الضنّ بالمودة، وقد قيل إنّه من حركات الشوق وهو مُستراح الوجد، وهذا إنّما يكون بين المتحابين"[٥].

---

[١] الحماسة البصريّة ص١٤٦٣.

[٢] الصِحاح تاج اللغة وصِحاح العربيّةج٥ص٢٠٣٤: أبو نصرإسماعيل الفارابى، تحقيق:أحمدعبدالغفورعطّار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة١٩٨٧م.

[٣] تاج العروس ج٣ص٣١٠.

[٤] الأصمعيات ص٤٣.

[٥] التذكرة الحمدونيّةص٣١، ٣٢: محمد بن الحسن بن محمد بن على ابن حمدون، تحقيق: إحسان عباس، وبكرعباس، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

وبعد تلك الصفات الخُلقيّة نجد ذمًّا من الناحية الخِلقيّة:

أظهرالشعراء فى هجائهم القُبح الشكلى للمرأة فينقلب بذلك على المقاييس التى تعارف عليها الشعراء فى حديثهم عنها، فكما كانت المرأة محبوبة مطلوبة لدى الرجل فهى أيضًا مذمومة مكروهة؛ لسوء خُلقها وقبح خِلقتها، وكأنّه أصبح ملجأ الرجال إذا كرهوا زوجاتهم يتفننوا فى تقبيح جمالهن، ومحاسن وجههن، وحُسن خُلقهن، وسوءعِشرتهن.

فصوروا الوجه بالقرد، والجسم بالبرغوث، والصوت بنباح الكلب، والساقان بالبعوضة إلى أنْ يتعوذ منها الشيطان حينما يرى صورة وجهها، فأصبح سوء المظهر مُدعاة للسخريّة من قِبل الرجال، وهذه المُبالغة فى تِعداد الأوصاف القبيحة ما هو إلا شعوردفين بالنقص. ويُقال:"لعلّ تقبيح النساء من جِهة المفاتن قرينة على أنّ هذا الهجاء لون من ألوان التعويض عن النقص الجسدى، وكأنّما يريد أصحابها رمى التُّهمة بالنقص على المرأة لا عليهم"[١]. ومن ذلك قول الشاعر:(من الطويل)

لأســـماءَ وَجْـــهُ قِـــرْدٍ إذا زُيِّنَـــتْ وَلَـــوْنُ كَبـــيضِ القَطَـــا الأبْـــرَشِ[٢]

ذمّ الشاعرتزيّنها وشبهها بالقردة لقبحهم، وقيل عن جمالها أنّه مُصطنع فجعلوها محطّ اتّهام وذنب.

- **النّحافة:**

تُعد النحافة من صورالذمّ التى تنبّه إليها كثيرمن الشعراء،"والنحافة تعنى: الهُزال. وقد نَحف بالضم فهو نحيف، وأنحفه غيره"[٣].وعبّروا عن هذه الصفة المذمومة فى إبداعهم، فاتّجهوا يُصورون هذه الصفة عبْرَ شِعرهم وصورهم الأدبيّة، ومن ذلك قول الشاعر:(من البسيط)

أعـــوذُ بـــاللهِ مـــن زَلّاءَ فاحِشَـــةٍ كأنّمـــا نِـــيطَ ثوباهـــا علـــى عُـــودِ[٤]

---

[١] قلق الفحولة في هجاء النساء إلى نهاية القرن الثالث الهجرى: بواعث القول وجِهات الهجاء ص١٧: إبراهيم بن محمد أبانمى، بحث نُشر بمجلة العلوم الإنسانيّة، جامعة البحرين، كليّة الآداب، ٢٠١٩م، من ص١٢: ٤٦.

[٢] حماسة أبى تمام ص١٢٣٨. وجاء في القاموس المحيط فصل السين ج١ص١٩٤:سَمَاجة:قَبُحَ، فهو سَمْجٌ وسَمِجٌ وسَميجٌ، ج سِماج وسَمَّجَه تسميجًا. وجاءت في تكملة المعاجم العربيّة، باب سمج ج٦ص١٣٩، سَمَاجة: تفاهة، بلادة، حِطة، دناءة.

[٣] الصِحاح تاج اللغة وصِحاح العربيّة ج٤ص١٤٣٠.

[٤] التشبيهات ص١٣٥.

لا يُمْسِكُ الحَبْلَ حِقواها إذا انْتطَقَتْ وفي الذَّنابَى وفي العُرْقوبِ تَحْديدُ

أعوذُ باللهِ من ساقٍ لها خَبَثٌ كأنّها من جديدِ القَيْنِ سَفّودُ

تُعد ضخامة الجسد من محاسن المرأة عند الجاهلى، فقيل:"إنّ ضخامة جسد المرأة هو ما استهوى الذوق الجمالى للشاعرالجاهلى والشاعرالشعبى، حيث يريانه رمزًا لإمكانيّة الخصوبة والولادة"[١]. فنجدهم فضّلوا المرأة البدينة على النحيفة، وذمّوا نحولها وهُزالها، وكأنّ هذا لعجزهم عن فرض قوامتهم. وأرى أنّ مقاييس الجمال ليس بالتضخيم بل بالقوام الممشوق، حتى أنّهم نعتوه ووصفوه وصفًا دقيقًا، وفى ذلك قد قيل:"وتتلقى المرأة رسائل مُتنوعة عن طريق الإعلام والأسرة والرِّفاق، كلها تؤكد أنّ النحافة مُساوية أو مُكافئة للجمال نفسه، وهذا ما يؤكد أنّ عنصرالوزن والنحافة هوالبُعد الأكثر تأثيرًا فى صورة الجسد لدى المرأة، وهو الموضوع الذى يشغل اهتمامها على وجه العموم بكافة شرائحها"[٢].

- **الهرم والعجز:**

يُعد الهِرم والعجز من صورالذمّ التى تنبّه إليها كثير من الشعراء،"فالهَرَم: أقصى الكِبَر، هَرِمَ، بالكسر، يَهْرَمُ هرمًا"[٣]. وقد عبّرالشعراء عن هذه الصفة المذمومة فى إبداعهم، فكما أحبّت المرأة الشباب، ونفرت من الشيب؛ كذلك كان حال الرجل، فقد عشق شبابها، وذمّ هِرمها. ومن ذلك قول الشاعر:(من البسيط)

لا تَنْكِحَنَّ عَجُوزًا إنْ أتيتَ بِها واخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْها مُمْعِنًا هَربا[٤]

فَإنْ أتَوْكَ فقالُوا إنّها نَصَفٌ فَإنَّ أطْيَبَ نِصْفَيْها الذى ذَهَبا

---

[١] مظاهرجمال الجسد الأنثوى بين الشِّعرالجاهلى والشِّعرالشعبى الجزائرى شعراء تبسة أنموذجًاص١٥:سعاد حميدة، بحث نُشر بجامعة قاصدى مرباح- ورقلة، ٢٠١٦م، من ص١٥٣: ١٦٦.

[٢] صورة الجسد عند المرأة وعلاقته ببعض المتغيّرات الشخصيّة ص٧٤، ٧٥: فايزة غازى العبد الله، بحث نُشر بمركزالبصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليميّة،٢٠١٣م، من ص٥٩: ٨٢.

[٣] لسان العرب ج١٢ص٦٠٧: محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة١٤١٤هـ.

[٤] الحماسة البصريّة ص١٤٦٢، وجاء هذا البيت في شرح ديوان حماسة أبى تمام للمعرى ص١٢٣٩، ولم أجده في في نسخة المرزوقى، وجاء في نزهة الأبصارص٥٣٥.

ذمّ الشاعر هِرمها، وأراد بالنكاح هنا العقد، وأكّد على ذهاب جمالها بكبرها ومن ثَم عجزها... وقيل"فالرجل حينما يرى نفور المرأة منه بسبب الشيب أخذ يتحسّر ويبكى شبابه المصروم، ويتحسّر على قوته ويتأسّف لحرمانه من اللذّات"[١]. فى حين أنّه الآن يذم ما كان يكره أنْ يُذمّ به. بيد أنّه ذم صفة لا محاولة من العدل عنها، فهو يتأسّف لعجزها وكأنّها صاحبة الأمر فى ذلك فمن لا يتمنى رجوع الشباب؛ إذ فيه القوة والجمال والحياة، ومن العجب فى ذلك أنّ الرجال إذا هرمت نساؤهم ذموهم ورموهم بالهِرم والعجز وتغيُّر الحال، أمّا الرجال فى كِبرهم يوصفون بالحكمة ونُضج التجربة، فيُعالج الرجل عجزه برميه على الأنثى.

وأرى أنّ هذه المواقف السلبيّة تِجاهها قد تكون محصّلة طبيعيّة لعصور طويلة، فوضعوا أُسسها ودعائمها فمالوا إلى التهوين من دور المرأة ومن ثَمّ تهميشها، فظهرت المرأة بشىء من الدونيّة التى لا تُعبّر عن حقائق ومُسلمات فلا يجب المِساس بها؛ لأنّها أقوال بشريّة تُخطئ وتصيب، أو رُبما صدرت عن جهل ويجب غربلتها كاملة لتقديم المرأة بصورة واضحة؛ لأنّه لا غِنى عن وجود النساء فى حياة الرجال؛ لأنّ احتياج الرجل للمرأة، واحتياج المرأة للرجل احتياج فطرى مدعوم بِما أودعه الله من احتياجات مُتبادلة عند كِلا الطرفين، فكلاهما مُكمّل للآخر، وعون على كمال شخصهم، ولكلّ منهما رسالة فى الحياة تليق بهما وبطبيعتهما.

الخاتمة

إنّ التوفيق من عند الله وأنّ ليس للإنسان إلا ما سعى فقد وصلتُ إلى ما وجّهت فكرى إليه، وطمحت بهمّتى نحوه من إتمام هذا البحث، فإنْ كان من ميزة فى هذا البحث فمردّها إلى الله سبحانه وتعالى، وإن كان من قصور فهو من عندى، وبهكذا تصل الدراسة إلى خاتمة المطاف ولعلّ أبرز ما انتهى إليه هذا البحث:

- لم أجد أبوابًا جاءت بشِّعر المذمّة إلّا قليلًا، فوجدت بابًا من حماسة أبى تمام خاصًا بالمذمّة، وفى الحماسة البصريّة، والتشبيهات لابن أبى عون، والأغلب كان مقطوعات من أبواب مُتفرقة، ولعلّ أسباب ذلك؛ لأنّ الشعراء عايشوا خيالهم أكثر من واقعهم، أو قد تكون موضوعات طريفة للبحث والدراسة.
- تأثير الحالة النفسيّة فى الشعراء فتتمثل فى الرغبة الدانية؛ لإثبات ذواتهم ونفى أى نقص عن أنفسهم مُحاولين الانتقاص من النساء لإخفاء عيوبهم.

[١] صورة المرأة في الشِّعر الجاهلى ص١٠٧.

- معظم الشعراء الذين تحدثوا عن الصورة السلبية للمرأة فى شِعرهم حاولوا إخفاء ذكر أسمائهم، كما أنّ الموضوع ليس واردًا عند شاعر بعينه، وإنّما جاءت أبيات هذا الموضوع مُتفرقة فلم تُشكّل قصيدة شِعريّة مُتكاملة.
- لا يوجد سبب كافٍ يستدعى المذمة بتلك الصفات والتشبيهات، كما أنّ أغلب التشبيهات مُستوحاة من الخيال؛ بغرض جذب انتباه المتلقى لا عرض الحقيقة فكانت هذه الصفات من افتعال الشعراء، أو قد تكون لمجرد مُتعة الوصف، وجمال التصويرالفَكِه.
- الأمرهنا فى الأغلب ليس مُحددًا بذمّ امرأة بذاتها، بل المرأة فى علاقتها بالرجل فى مواقف معينة، تكون المرأة فيها موضع اختبار، وقد يكون الحكم عليها سلبًا أوإيجابًا من وِجهة نظرالشعراء، ورؤيتهم الذاتيّة للأمور.
- صُبغت المرأة بصبغة بشعة لمجرد إرادتها مُحاكاة الرجل، فجعل منها شريكة مبغضة.

فهرست المصادروالمراجع والأبحاث

أولًا: المصادر

- **الأصمعيّات:** أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيب بن عبد الملك(٢١٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، بيروت، الطبعة الخامسة.
- **التذكرة الحَمدونيَّة:** محمد بن الحسن بن محمد بن على ابن حمدون، تحقيق: إحسان عباس، وبكرعباس،المجلدالخامس،بيروت،دارصادر،الطبعةالأولى١٩٩٦م.
- **الحماسة البصريّة:** صدرالدين على بن أبى الفرج بن الحسن البصرى(٦٥٦هـ)، تحقيق: عادل سليمان جمال الخانجى، القاهرة،١٩٩٩م.
- **حماسة البحترى:** أبوعُبَادة الوليد بن عُبَيْد البُحترى(ت٢٨٤هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم حُوَّر، وأحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبى للثقافة والتراث،٢٠٠٧م.
- **شرح ديوان حماسة أبى تمام(ت٢٣١هـ):** أبو العلاء المعرى، دراسة وتحقيق: الدكتور:حُسَين محمد نقشَة، المجلد الأول، دارالغرب الإسلامى،١٩٩١م.

ثانيا: المراجع

- **إيضاح شواهد الإيضاح:** أبوعلى الحسن بن عبدالله القيسى، تحقيق: محمد بن محمود الدعجانى، دارالغرب الإسلامى، بيروت، الطبعة الأولى١٩٨٧م.

- **أرسطو والمرأة:** أ.د. إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولى، سلسلة الفيلسوف والمرأة، الطبعة الأولى١٩٩٦م.
- **الأعمال النثريّة الكاملة**: نزارقبانى، بيروت،١٩٦٣م.
- **بلاغة السرد النسوى:** محمد عبد المطلب، الهيئة العامة لقصورالثقافة، مصر، سلسلة كتابات نقديّة، العدد١٦٦، الطبعة الأولى٢٠٠٧م.
- **تاج العروس من جواهرالقاموس:** أبوالفيض محمد بن محمد بن عبدالرازق الحسينى، المُلقّب بمرتضى الزبيدى(ت١٢٠٥هـ)،دارالهداية،١٩٨٤م.
- **تحريرالمرأة فى عصرالرسالة:** عبد الحليم أبو شُقَّة، الطبعة الخامسة١٩٩٩م.
- **تهذيب اللغة:** أبو منصورمحمد بن أحمد بن الأزهرى الهروى (٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض، دارإحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الأولى٢٠٠١م.
- **سنن ابن ماجه**: أبوعبدالله محمد بن يزيد القزوينى(ت٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقى، دارإحياء الكتب العربيّة، فيصل عيسى البابى الحلبى.
- **السُنن الصغرى للنسائى= المجتبى من السُنن**: أبوعبدالرحمن بن شُعيب بن على الخراسانى النسائى(ت٣٠٣هـ)، تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلاميّة، حلب، الطبعة الثانية.
- **الصِحاح تاج اللغة وصِحاح العربيّة**: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى(ت٣٩٣هـ)، تحقيق أحمدعبدالغفورعطار، دارالعلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة١٩٨٧م.
- **الظرائف واللطائف واليواقيت فى بعض المواقيت:** أبو منصورالثعالبى(٣٥٠-٤٢٩هـ)، جمعها الإمام أبو نصر المقدسى، تحقيق: ناصرمحمدى محمد جاد، مراجعة وتقديم الدكتور: حسين نصار، مطبعة دارالكتب والوثائق القوميّة بالقاهرة، ٢٠٠٩م.
- **العِقد الفريد**: ابن عبد ربه الأندلسى(٣٢٨هـ)، تحقيق: عبد المجيد الترحينى، بيروت، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى١٩٨٣م.
- **عيون الأخبار**: ابن قتيبة(٢٧٦هـ)، تحقيق: منذر محمد سعيد أبو شَعِر، بيروت، المكتبة الإسلاميّة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

- **كتاب العين**: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدى البصرى(ت١٧٠هـ)، تحقيق: دكتورمهدى المخزومى، ودكتور إبراهيم السامرائى، دار ومكتبة الهلال.
- **لسان العرب**: أبو الفضل محمد بن مُكرم بن على جمال الدين بن منظورالأنصارى الرويفعى(ت٧١١هـ)، دارصادر، بيروت، الطبعة الثالثة١٤١٤هـ.
- **مُجمل اللغة لابن فارس**: أحمد بن فارس بن زكريا القزوينى الرازى(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: زهيرعبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٨٦م.
- **المرأة فى أدب توفيق الحكيم**: الرشيد بو شعير، دمشق، دارالأهالى،١٩٩٥م.
- **مركز المرأة فى الحياة الإسلاميّة**: يوسف القرضاوى، عمان، دارالفرقان للنشر والتوزيع،الطبعةالأولى١٩٩٦م.
- **المرأة واللغة**: عبدالله الغُذامى، المركز الثقافى العربى، الدارالبيضاء، الطبعة الأولى١٩٩٦م.
- **المرأة بين القرآن وواقع المسلمين**: راشد الغنّوشى، دارالشروق،٢٠١٢م.
- **المصنف لعبدالرازق**: أبو بكر عبدالرازق بن همّام بن نافع الحميرى الصنعانى(ت٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى، المجلس العلمى، بيروت، الطبعة الثانية.
- **المعجم الكبير للطبرانى**: سليمان بن أحمد بن أيوب الشامى (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدى بن عبدالمجيد السلفى، مكتبة ابن تيميّة، القاهرة، الطبعة الثانية.
- **معجم مقاييس اللغة**: أحمد بن فارس بن زكريّا القزوينى الرازى(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دارالفِكر،١٩٧٩م.
- **معجم مقاليد العلوم فى الحدود والرسوم**:عبدالرحمن بن أبى بكر جلال الدين السيوطى(ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى٢٠٠٤م.
- **معجم مصطلحات التحليل النفسى**: جان لابلانش، برتراند بونتاليس، ترجمة مصطفى حجازى، بيروت، المُنظمة العربيّة للترجمة، مركزدراسات الوحدة العربيّة٢٠١١م.

- **هذه الشجرة**: عباس محمود العقاد، القاهرة، دارنهضة مصر، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م.

ثالثًا: الرسائل والأبحاث

- **صورة المرأة فى الشِّعرالجاهلى:** غادة يوسف عجيب، رسالة ماجستيرنُشرت بجامعة أم درمان الإسلاميّة، كليّة اللغة العربيّة،١٩٩٨م، من ص٩٠: ١٤٥.
- **صورة الجسد عند المرأة وعلاقته ببعض المتغيّرات الشخصيّة:** فايزة غازى العبد الله، بحث نُشر بمركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليميّة، ٢٠١٣م، من ص٥٩: ٨٢.
- **قلق الفحولة فى هجاء النساء إلى نهاية القرن الثالث الهجرى: بواعث القول وجهات الهجاء**: إبراهيم بن محمد أبانمى، بحث نُشر بمجلة العلوم الإنسانيّة، جامعة البحرين، كليّة الآداب،٢٠١٩م، من ص١٢: ٤٦.
- **المرأة فى الأمثال الشعبيّة المصريّة:** دراسة ثقافيّة، بحث نُشر فى صحيفة الألسن ٢٨يناير٢٠٢٢، من ص٩: ٣٢.
- **مظاهر جمال الجسد الأنثوى بين الشِّعرالجاهلى والشِّعرالشعبى الجزائرى:** شعراء تبسة أنموذجًا، سعاد حميدة، بحث نُشر بجامعة قاصدى مرباح- ورقلة، ٢٠١٦م، من ص١٥٣: ١٦٦.
- **هجاء المرأة فى الشِّعرالعربى حتى نهاية العصر الأموى:** خليل محمد عودة ، بحث نُشربالجامعة الإسلاميّة بغزة، ٢٠٠٠م، من ص٨٦٩: ٨٩١.

Summary OF the research

This research, marked by the disparagement of women in ancient Arabic Poetry, attempts an objective Study to deal with Most Of What came about this topic in critical thought, Past and present, and What came in ancient Arabic poetry. The nature of the research required a division into;

- introduction
- Preface: in it, I dealt With the most reprehensible traits that characterized women.
- The first topic: entitled Women in Critical Thought, Ancient and Modern.
- The second topic: entitled Topic of vilification of women in ancient Poetry.
- Conclusion: I concluded this rsearch with a summary in Which I summarized my findings, and then appended it to a list of sources and references from which I drew.

Defamation of Women in Ancient Arabic Poetry "An Objective Study"

By

Asma Ahmed Ahmed Mohamed Hussein Al-Haddad

Prof. Dr. Mohamed El-Sayed El-Desouki

Professor of Arabic rhetoric and literary criticism, Faculty of Arts, Tanta University

Prof. Ahdy Ibrahim El-Sisi

Assistant Professor of Ancient Literature, Faculty of Arts, Tanta University

Abstract:

This research, tagged: The vilification of women in ancient Arabic poetry, an objective study, tries to address most of what came about this topic in ancient and modern critical thought, and what came in ancient poetry. There is no doubt that women are the pillar and source of society; Therefore, Islam urged to respect it, to preserve its being, and to honor and exalt it Her status, raising her status to a position worthy of her, and the issue of women is an urgent necessity, in addition to being a fundamental human necessity that does not concern women only, but concerns the entire human society; Due to its relationship with many issues of society: political, social, and economic, and an important title around which a lot of research revolves in order to get out of the crucible of

marginalization and denigration that has long clamped down on it and stripped it of its humanity.

As a silent, unexpressed being, the groans of itself, and it is considered one of the issues that imposed itself strongly and clearly since its features crystallized, and the slander had a great impact due to its lack of hesitation on the tongues, as many researches abound with poems praising women, while the opposite of praising women has received little attention despite deserves careful consideration; Because slander against women is not a transient thing that is dealt with in an obscenely simplistic way. General, and the consecration of male dominance over women.

This research directed towards clarifying the censure of women in the poetic construction, its aesthetics and themes. To revise the image of women in an aspect of her characteristics that were scattered among the literature, and to illuminate new aspects that similar ones from previous studies did not find, according to the researcher's efforts.

Keywords: slander women; slandering women; spelling; women's hair.